المحاضرة رقم 09

5 / الإتجاه الإنتشاري في أمريكا :

أما في أمريكا فإن الاتجاه الانتشاري وجد تعبيراً له في كتابات فرانز بواس العالم الطبيعي الألماني الذي استهوته الأنثروبولوجيا بعد زيارة قام بها إلى جزيرة بافن في كندا في عام 1883. فقد أشار بواس إلى أنه من خلال دراسة الشكل والتوزيع الجغرافي لمصدر السمات الثقافية وهجرتها واستعارتها عن طريق الاتصال بين الشعوب، يمكن للباحث أن يستدل على كيفية نشأة السمات الثقافية وتطورها، وبالتالي يمكن الوصول إلى نظرية تتوفر فيها عناصر الصدق والبرهان لتفسير المجتمعات الإنسانية وتطور النظم الاجتماعية أو السمات الثقافية. وانطلاقا من هذا الفهم استخدم بواس مصطلح المناطق الثقافية الذى يشير إلى مجموعات من المناطق الجغرافية التي تتصف كل منها بنمط ثقافي معين غض النظر عن احتواء أي من هذه المناطق على شعوب أو جماعات. ويشير مفهوم المنطقة الثقافية إلى طرق السلوك الشائعة بين عدد من المجتمعات التي تتميز باشتراكها في عدد من مظاهر الثقافة نتيجة لدرجة معينة من الاتصال والتفاعل. وفق هذا الإطار النظري سعت المدرسة الأمريكية بزعامة بواس إلى إنجاز الدراسة التاريخية الدقيقة للعناصر المختلفة لثقافة محددة وتحليل كل جزء أو عنصر من حيث مصدر نشأته وتطوره واستخدامه وتتبع عمليات هجرته أو استعارته بين الشعوب المختلفة. وكان من نتيجة هذا الاتجاه الانتشاري أن أخذ علماء الإنسان في النظر إلى الثقافات الإنسانية بحسبان أنها تؤلف كيانات مستقلة من حيث المنشأ والتطور ومن حيث ملامحها الرئيسة التى تميزها عن غيرها، وهو ما يضع الاتجاه الانتشاري على عكس الاتجاه التطوري الذى يرى أن الثقافات متشابهة وأن الاختلاف الوحيد بينها يكمن فقط في درجة تطورها التقني والاقتصادي. لقد زعزعت المدرسة الانتشارية إن لم يكن إشكالية الاتجاه التطوري فعلى الأقل طريقته. فالاتجاه الانتشاري قد ابتعد على الأقل عن الفهم الخطى للتاريخ، ومن ناحية ثانية جعل نظرية التاريخ لاحقة لتحليل التواريخ الجزئية لكل مجتمع بحسبانه كلاً مستقلاً، هكذا كتب بواس قائلاً "حين نوضح تاريخ ثقافة واحدة ونفهم مؤثرات المحيط والشروط النفسيَّة التى تنعكس فيها، نكون قد خطونا خطوة إلى الأمام . كذلك يمكننا أن نبحث في الأسباب المؤثرة أثناء تكونه، أو إبانة تطور تلك الثقافة . وهكذا، وبفهمنا لمقاطع النمو،

يمكننا اكتشاف قوانين عامة. هذه الطريقة أكثر ضماناً من الطريقة المقارنة) التطورية). والتي غالباً ما تمارس، فبدل وضع فرضية تتناول نمطاً لتطور، يقدم التاريخ الفعلي قاعدة الاستنتاجات.

إن النظرية الاجتماعية الحديثة تتميز بأنها تتركز على فكرة عامة مؤداها أن الحياة الاجتماعية يمكن ردها الى قوانين علمية ، تسمح لنا بالتنبؤ بنتائجها متى توفرت الظروف المهنية لتحقيق مقدماتها وعواملها . كما أن النظرية الاجتماعية ، لاتتكلم فقط عن العمليات والصراعات والمشكلات الاجتماعية ، بل هي كذلك جزء من تلك العمليات السببية الفاعلة والمواقف التي تعمل فيها تلك الأليات السببية. وبمعنى آخر فإن النظرية برأي العالم تيماشيف تمثل :"أعلى درجات المعرفة " لأنه الوسيلة لإقامة المعرفـــــة عن العالـــــم الأجتمـــــــاعي

وعى الرغم من إختلاف الرؤيــة في في تحلل مفهوم النظرية ، فإن هناك إتفاق عاما بأن النظرة الاجتماعية هي محاولة علمية للسيطرة على الظواهر الاجتـــــماعية من خلال تصـــــــورات منطقيـــة

ومن ذلك يمكن إيجاز أبرز التعاريف والمفاهيـــم للنظرية الاجتماعية

تعريف روبرت ميرتون":مجموعة من التصورات المترابطة منطقيا ، تلك التصورات المحدودة والمتواضعة ،ليســت الشاملة المتضمنة كل شيء"

تعريف تالكوت بارسوز":النظرية تتصل بكيان من المفاهيم المترابطة منطقيا وهذا لا ينفي وجود مجموعة من القضايا العامة ذات العلاقات التي تربـــط في مـــا بينـــها ، ويمكـــن أن تألف كيانا نظـــريا"

تعريف رالف دارند روف":مجموعة قوانين منطقية مستخرجة من الواقع الإجتماعي يستخلص منها إستنتاجات دقيقة لا تعكس خصوصية متميزة تصفها مجموعة بشرية صغيرة لها فاعلية في تفسير وشرح سلوك وتفكير النـــاس الذي بلوره واقعهـــم الحقيقـــــــي"

تعريف براث وات :تشمل على مجموعة من الفروض التي تكون نسقا إستنباطيا بمعنى أنها تنظم في ترتيب متتابع فيه بعض الفروض اللاحقة تلحـــــــــــق بعـــض الفروض المتقـــدمة"

تعريف محمد عاطف غيث": مجموعة من المبادئ وتعريفات مترابطة تفيد تصوريا في تنظيم جوانب مختارة من العالم الأمبريقي على نحو منسق ومنظم ، إذاكان هيكلا مكونا من قضايا مترابطة منطقيا وقابلة للتحليل الإمبريقي"

ومن هنا يمكن تعريف النظرية الاجتاعية على أنها:" تمثل تركما مترابطا ومفاهيم وتصورات وقوانين تأخذ شكلا منسقا و مرتبا بقصد تفسير الأحداث الاجتماعية وبلورة قوانين منطقية لها القدرة على التعبير من الواقع الاجتمـــــــاعي والتنبـــؤ بالمستقبـــل"

والشروط التي ينبغي توفرها في النظرية هي:

يجب أن تتفق القضايا الواحدة مع الأخرى.
ينبغي أن تكون المفهومات التي تعبر عن القضايا محدودة بدقة .
أن تكون هذه القضايا خصبة ومثمرة، تستكشف الطريق لملاحظات أبعد مدى ، وتعميمات تنمي مجال المعرفة.
أن توضح بشكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات القائمة اشتقاقا استنباطيا.